سير الأمم بين الأصالة والتجديد

لو أن استمساك المسلمين بدينهم ضرب من التقليد الجهول، أو التعصب الذميم، لكنت أول الناقمين عليه والمحاربين له! ولكن المسلمين المتشبثين بدينهم فى وجه ضغوط هائلة، ومكايد ظاهرة وباطنة، يفعلون ذلك عن وعى سليم واقتناع كريم.

ولو أن دعاة التحلل ونبذ الماضى، أو التطور والانطلاق مع المستقبل – كما يقولون – يؤثرون هذه الوجهة بعد مقارنة ودراسة، وحوار مفتوح، ونقاش نزيه، لأكننا لهم شيئا من الحرمة، وعذرناهم عندما يخالفوننا فى رأى!!

ولكن هؤلاء يريدون بالختل حينا، وبالعصا حينا آخر، أن يصرفوا الجماهير عن غايتها، ويفتنوها عن عقيدتها..!

فاذا عز عليهم بلوغ مآربهم وجدت أعداء الرأى الحر يصفون غيرهم بالجمود!

ووجدت أذناب التيارات الدخيلة يرمون سواهم بالتقليد !! ووجدت عملاء النحل الفاسدة، قديمة كانت أو محدثة، يتهمون رجال الإسلام بالتخلف..!!

ومع ان الإسلام منذ بدأ الى يوم الناس هذا، دعوة الى الحياة والابتكار، والى الفكر الذكى والنشاط الموصول. فقد انقلبت صورته فى أذهان هؤلاء، وأصبح وحده، دون سائر الملل والمذاهب سبب التوقف، وأصبح دعاته حصن الرجعية، وآفة المجتمع، وغير ذلك من النعوت التى يخترعها سماسرة الغزو الثقافى.

لقد تقدمت اليابان منذ أكثر من قرن، ولم يجد رجالها حرجا من الانتفاع بالعلم العصرى فى مجاليه النظرى والتطبيقى دون أن يعلنوا حربا على ماضيهم، ودون ان يشتبكوا مع الشعب فى حرب ضروس ليصرفوه عن ديانته الوثنية.

وتقدمت الولايات المتحدة فى ميدان الارتقاء العام مع حرصها البالغ على حماية شتى المذاهب الكنسية، بل على نشرها هنا وهناك!!

obeikandi.com

ولقد قرأت وصفا لتكفين الرئيس كنيدى بعد مقتله نشرته مجلة المختار فى يناير سنة ١٩٦٤، وهو وصف ينضح بمكانة النصرانية وتقاليدها وإطباق الرسميين والشعبيين على احترامها، جاءت فى الوصف المذكور هذه العبارة:

« فى الساعة الثانية عشرة والدقيقة السابعة والخمسين بعد الظهر، أى بعد سبع وعشرين دقيقة من اغتيال « كنيدى » استدعى اثنان من القسس الكاثوليك فى « دالاس » هما الأب « أوسكار هوبر » والأب « تومسون جيمس » ليكونا إلى جوار الرئيس.

وسحب الأب هوبر الغطاء عن وجه الرئيس ثم غمس سبابته فى « الزيت المقدس »، ورسم علامة صليب صغيرة على جبهة كنيدى، وقال باللاتينية: إننى أغفر لك كل لوم وخطايا باسم الأب والابن والروح القدس آمين!! وإذا كنت حيا فليغفر الله بهذا الزيت المقدس كل خطاياك..!! ».

هذه التقاليد المسيحية فى أمريكا لم تعلن عليها حرب شعواء حتى تستطيع الشعوب التقدم، وتساير موكب الزمن الزاحف كما يهدف بيننا بعض من لا وزن لهم من حملة الأقلام المرموقة!!

لقد بقيت هذه التقاليد وحدها، ومضى الأمريكيون فى طريقهم يغزون الفضاء حينا، ويمدون بعثات التبشير بالعون المادى والأدبى حينا آخر.

ولنترك اليابان والولايات المتحدة ولننظر الى إسرائيل، عدونا اللدود!.

إن قيام هذه الدولة على الدين حقيقة أوضح من فلق الصبح.

والألوف المؤلفة من اليهود الذين يقيمون فى أمريكا يمدونها بما فى طاقتهم من جهد لتنهض وترسخ.

وهم يدفعون السياسة الأمريكية دفعا الى هذا المجرى المكشوف مستجيبين بذلك لنداء الأخوة الدينية اليهودية، ومستغلين العداء التاريخى نحو الإسلام وأمته من مواريث الصليبية القديمة.

ومع هذه الحقائق الملموسة، فان العصابة المتاجرة بالقلم فى بلادنا تنكر ان يكون للدين أثر فى الجبهة المعادية لنا! لماذا؟؟

حتى تخفت الأصوات التى تطلب إحياء الإسلام بين العرب..!

حتى تكون الحرب ذات طابع دينى هناك وذات طابع مدنى هنا..!

إن تمويت الإسلام هدف مقصود لذاته، ولو كان فى ضياعه ضياع العرب، وفشل قضاياهم، وتمزيق شملهم، واضمحلال أمرهم الى الأبد!!

وأنا أعلم كما يعلم غيرى أن هناك يهودا لا يتجاوبون مع إسرائيل، فما دلالة هذا؟ هل إذا كره بعض الانجليز الاستعمار وصفنا الشعب الانجليزى بأنه برئ من الاستعمار، وأنه لا يحمل تبعات حروبه الدنسة فى افريقيا وآسيا وغيرهما بضعة قرون؟

إننا لم نصف كل يهودى على ظهر الأرض بأنه معتد على العرب، ولكننا نصف الجمهرة الساحقة من اليهود بأنها من وراء قيام إسرائيل على أنقاضنا بدافع دينى أعلنه ساستهم وقادتهم.

فلم المماراة فى هذه الحقائق الصلبة؟

بيد أن الذين يبغون إبعاد الاسلام عن ميدان الكفاح، بل إبعاده عن أسباب الحياة أو إبعاد أسباب الحياة عنه يمضون فى طريقهم مكابرين معاندين.

فعندما خطب رئيس الدولة فى عيد القاهرة الألفى، وارتقب« كيف تستطيع شعوبنا أن توفق بين الأصالة وهى التاريخ، وبين التجديد وهو المستقبل» قلنا – نحن المؤمنين من أبناء هذا الوادى – إن هذه عبارة تدعو الى التفاؤل، إنها توحى بأن نبنى على قواعدنا، وأن نندفع مع تيارنا، وأن نتجاوب مع طبائعنا العربية المسلمة.

فالأصالة فى حياة أمة هى صورتها الروحية، وصبغتها الفكرية والخلقية، وملكاتها فى توجيه الحياة وفق عقيدتها وشريعتها.

وإذا كان لنا نحن العرب تاريخ لامع وحضارة مشهودة فمرد ذلك أجمع الى الاسلام وحده.

وتستطيع الأمة الذكية أن توائم بين جذورها فى الماضى وحركتها الى المستقبل.

وإذا سهل ذلك على أمم ذات تواريخ تافهة أو أديان شائهة، فكيف يصعب على أمم أساسها الإسلام باعث الحياة فى الرفات الهامد، وموقد الشرر فى الحجر الجامد؟؟

obeikandi.com

إلا أن جريدة الأهرام طلعت علينا بحديث للمستشرق جاك بيرك، يفسر فيه الأصالة تفسيرا مقلوبا، ويردها الى عناصر مادية وآلية.. ويرتاب فى قيمة الأخلاقيات والأدبيات والجماليات من حيث هى المعالم الأولى للأصالة..!!

ويرى هذا المستشرق اللبيب أن بناء السد العالى دلالة بارزة على الحضارة المصرية «الأصيلة». ثم يمضى فى حديث موغل فى التضليل واللف الى أن يكشف عن نفسه أخيرا، أو يكشف عن الهدف الذى استقدمته من أجله جريدة الأهرام فيقول تحت عنوان «ليست الأصالة هى العودة الى الماضى»: «لقد ولى الى الأبد بمحاسنه وعيوبه كل ما سبق الثورة الصناعية المعاصرة التى اجتاحت وما تزال تجتاح كل أنحاء العالم وكل صفات الحياة الانسانية، فردية كانت أم جماعية.. والأصالة اليوم أن نكشف ذواتنا وأن نهيئها للانسجام مع عالم هذه الثورة الصناعية المكتسحة، وما هو أبعد منها».

ولا يحتاج المرء إلى جهد قليل أو كثير ليشعر بأن القصد من هذا الحديث منع العرب من التفكير فى دينهم، والامتداد مع أصولهم السماوية ومثلهم النفسية والاجتماعية.

إن ألوف الحيل تختلف اختلافا لجعل أمتنا تحيا بعيدة عن ينابيعها الروحية حتى لو أحرقها الجفاف، وأضنتها الحيرة.. بل حتى لو تهددتها الهزيمة وأحدق بها العدو، فلحساب من هذا كله؟؟

أما الثورة الصناعية التى أشار اليها هذا المستشرق فهى حصيلة الارتقاء العلمى الذى ساهمت فيه شتى الأجناس والحضارات، والأمم الكبرى تستغل تفوقها الصناعى فى دعم فلسفاتها الفكرية ومذاهبها الاجتماعية.

أى أن هذا التقدم الصناعى وسيلة لخدمة الأهداف الانسانية للأمم، كما تراها كل أمة، فالجهاز الصناعى الهائل فى أمريكا يخدم المنهج الرأسمالى الذى آثره أصحابه.

ومثيله فى روسيا يخدم المنهج الاشتراكى المضاد فكيف تتحول الوسيلة إلى هدف كما يريد خداعنا هذا المستشرق؟

obeikandl.com

إن الأصالة ترجع ابتداء الى أسلوب الحياة الذى نريده لأنفسنا، وهذا الأسلوب لا ينفك عن أركان ديننا وأصول حضارتنا وتاريخنا.

وكما يستغل اليهود وغيرهم التفوق العلمى والعملى فى إعزاز جانبهم وفرض أنفسهم يجب أن يعمل العرب وأن يربطوا ماضيهم بحاضرهم!!

أفهذه مشكلة معقدة ومعادلة صعبة كما يصور بعض الكتبة؟هل ارتباط كل أمة بدينها سائغ مقبول أما ارتباطنا بأسلامنا فمشكلة المشاكل؟

إن العودة الى الماضى فى حياتنا نحن العرب معناها استبقاء الرسالة التى تملأ القلوب الفارغة وتنظم الصفوف المعوجة وتقمع الأهواء الفاسدة وتجعل البشر عبادا لله صالحين وخلفاء على أرضه مكرمين.

إن العودة الى الماضى تعنى أن نستصحب الوحى الالهى فى مسيرنا، ونستبقى هداه على طريقنا، أفذلك ما تحرج به صدور وتغتاظ منه أقوام؟

لماذا ارتفع هذا الحرج فى المجالات العالمية لما عاد اليهود الى ماضيهم وأقاموا باسمه دولتهم؟؟

لماذا لم تتجه جهود الغرب التبشيرية الى اليابان الوثنية، واستماتت فى ضرب الاسلام وحده والتنكيل بأتباع محمد؟

سيقول سماسرة الغزو الاستعمارى للعرب: إن العودة الى الماضى تعنى أن نعود إلى ركوب الإبل.

ونتجاوز هذا الهزل لنقول لأصحابه: بل نريد من هذه العودة أن نهذب حيوانيتكم التى طفحت، وجعلتنا أضحوكة الناس.

ففى هذه الأيام واليهود جاثمون على صدرنا ممسكون بخناقنا تنشر جريدة الأهرام هذا الاعلام عن رواية جنسية تعرض فى سينمات القاهرة، فتصف كيف سرقت عاهرة رجلا من بيته وكيف « تضمه الى صدرها فنانا تنقصه حرارة القبلة، وتشتهى هى الأخرى طعم الحب، وتبدأ بين الاثنين قصة، قصة الفنان

المتزوج من امرأة تبلدت عواطفها، وقصة الفتاة الصغيرة الناضجة التى تشتهى ضياع المتعة واللذة!! وعلى الشاعرية، على النبضة القصيرة والطويلة والعريضة تروى الأيام أحلى وأطعم قصة عشق» .... الخ(١).

هذا هو أسلوب الحياة المتجددة التى ننسلخ بها عن الماضى، ونواجه به عدوان الاستعمار والصهيونية على بلادنا.

هذا هو الأسلوب الذى يستأجر له مستشرقون يفسرون الأصالة بأنها جملة من العناصر المادية.

وعلى هذا النحو تعمل السمسرة الأدبية فى إضاعة الماضى والحاضر والمستقبل جميعا.

* * *

---

(١) الأهرام ٣٠/ ٣/ ١٩٦٩.

obeikandl.com

تناول الدين بين الجد والهزل

بين الانسان العربى اليوم والانسان العربى فى صدر الإسلام بون بعيد بعيد.

قد يكون إنسان اليوم أفخر ملبسا، أو أدسم مطعما، وأفره مركبا، ولكنه من حيث الخصائص الروحية والعقلية تافه ضائع بالنسبة إلى أبيه الأول وسلفه العظيم.

لقد ظهر العرب - منذ بدأ بالاسلام تاريخهم - أمة تقود ولا تقاد، وتدفع ولا تندفع، وتمنح الآخرين المعرفة والخلق والقانون والحضارة لأن ثروتها فى هذه المبادئ هائلة وحاجة الغير ماسة، والرغبة فى العطاء موفورة.

أما عرب اليوم فيدهم السفلى ممدودة ترتقب العون المادى أو الأدبى ممن يعطى إذا شاء أو يأبى إذا شاء.

وقد يتلقون اللطمة تلو اللطمة فما يستطيعون لفرط هوانهم أن يرفضوا ضيما، أو يدركوا ثأرا.

إن الفروق بين الانسان العربى اليوم والانسان العربى أمس جسيمة، لأن إنسان الأمس كان صاحب إيمان عميق، وخلق عظيم، وقدرة على الحياة خارقة، وهمة فى اجتياح العوائق فائقة..!

أما إنسان اليوم فعريان عن هذه الخصائص المعنوية..

ونحن نبذل جهود الجبابرة كى نطوى المسافة بين حاضره وماضيه، كى نعيد إلى الدين الذى صنع أمجاده، وجعل له فى الدنيا دويا كبيرا، ولم يكن قبله شيئا مذكورا.

والناس قد يأخذون الدين شكلا لا موضوع له، وصورة لا روح فيها.

وهذا اللون من التدين قد يكون أسوأ من الالحاد المكشوف، لأن التدين المصحوب بالضعف والبلادة والذهول والغفلة تدين سخيف مهين، لا وزن له عند الله، ولا أثر له بين الناس..!

وعندما حاول بنو إسرائيل قديما أن يأخذوا الدين بهذه الطريقة السمجة هددهم الله جل شأنه بالسحق، أو يأخذوا الدين أخذا معقولا..!

أجل لقد انتزع جبلا من مكانه، وهددهم بالدفن تحت ركامه، إذا كانوا سيتناولون تعاليم الدين بعزيمة خائرة وفكرة غامضة.. قال تعالى ﴿**وإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [الأعراف: ١٧١].

وأخذ الوحي الالهى بحماس باطن وظاهر، واستبصار ما فيه على نحو ينفى الغفلة والنسيان، أمران لابد منهما للتدين الحقيقى.

والأمة التى تنظر الى معالم وحيها ببرود، وقلة اكتراث، أو التى تغلبها أهواؤها فتنسى ما كلفت به، وتمضى وفق هواها لا وفق هداها، أمة ليست أمينة على رسالات الله، ولا جديرة برعايته.

وقد حكى القرآن لنا ما هدد الله به قديما بنى إسرائيل حتى نعرف سرا من أسرار سخطه على الأمم.

وعندما أطيل النظر فى أحوال العرب اليوم أجد علل تأخرهم ظاهرة...

لأن انتماءهم الى الاسلام قشرة رقيقة على كنود غليظ!!

الناس يؤدون أعمالهم وكأنهم ممثلون لن يأخذوا أجرا، فلا إتقان، ولا إخلاص، ولا جد، ولا تضحية..!!

أسلوب الأداء خلو من العاطفة الحارة بله العقيدة الدافعة.

التكاذب المستمر هو العملة المتبادلة، والتجهم للحقيقة أساس فى السلوك العام.

وسائق السيارة يجب أن يلقب بالمهندس، والحلاق بالطبيب، والساعى بالريس.. الخ.

وجنون الرياء والظهور يفتك بالأفراد والأسر والطوائف...

والغرائز الجنسية تقتحم السدود المفتعلة، وتسلك آلاف الطرق المعوجة، بعد أن هجرت الحلول الصحيحة لمشكلاتها.!

وضعف الشخصية يستقدم فنونا من تقليد المنتصرين فى الشرق والغرب، ويجعل المجتمع العربى خليطا من المضحكات المبكيات يندى له الجبين.

.. إن الإسلام عنوان غير صحيح للأمة الإسلامية المترامية الأطراف، وللأمة العربية التى تتولى بحكم لغتها مكان القيادة لجماهير المسلمين...

وقد نجح الاستعمار الأجنبى فى:

١ - ألا نأخذ ما أوتيناه بقوة.

٢ - وألا نذكر ما فيه.

ومن هنا استطاع أن يصرفنا عن لباب ديننا، وأن يسلينا بالقشور الفارغة، وأن يدفعنا على مر الأيام الى الخلاص منه، والارتداد النهائى عنه.

وأخطر ما بلغه إيجاد مجتمعات خالية من فضائل العقيدة وروابطها والويل لأمة تمارس شئونها المختلفة، وأمرها فرط، وقلبها خرب، وعقلها هواء.

وربما كانت سنة الله فى الأولين تخويفهم بالخوارق حتى يرعووا. ورفع الجبال فوق رؤوسهم كى يزعجهم فيستقيموا.

ولكن الله لم يرفع جبال «البرانس» فوق عرب الأندلس حتى يدعوا مجونهم وفجورهم، فإنه ترك بين المسلمين كتابا يقول لهم: ﴿ **مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ** ﴾ [النساء: ١٢٣].

فلا جرم أن يطردوا من ديار لم يحسنوا الخلافة عن الله ورسوله فيها!!

إن القرآن كتاب صارم الحكم على أبنائه وأعدائه جميعا، وعندما زعم أهل الكتاب السابقون أن الجنة حكر لهم، مهما كانت أعمالهم، كذب الله هذه الأوهام، وكشف أنه لا يستحق كرامته إلا من اتجه إليه بالعمل الحسن ﴿ **وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [البقرة: ١١١، ١١٢].

فإذا كان العرب لا يولون وجوههم شطر دينهم ولا يتحرون إحسانا فى أمورهم فهل يتوقعون إلا المخاوف والأحزان؟

فى الأمم الجديرة بالحياة والنصر يؤدى الواجب برغبة باطنة، ودقة ظاهرة، وينطلق الكبار والصغار إلى وظائفهم وحرفهم بباعث من الشوق، لا بسوط من

obeikandi.com

الرهبة، ويتنافس المتنافسون فى إحسان ما بأيديهم ابتغاء وجه الله ومثوبته، وإخلاصا للأمة ومستقبلها، قبل أن يكون شئ من ذلك نظير قروش أو جنيهات.

وقد كان العرب الأولون - تمشيا مع تربيتهم الدينية الأصيلة - نماذج رائعة فى هذه المجالات، فلما شبت الأجيال الأخيرة فى غير منابتها وأعوزها معنى الإيمان والشرف فى حركتها وسكونها، خانها التوفيق فى الحرب والسلم، فى الداخل والخارج!!

وما أشك فى أن العرب يتعرضون لعذاب الاستئصال إذا لم يأخذوا الإسلام بقوة، ويذكروا ما فيه لعلهم يتقون.

ما يمنع الإنسان العربى المعاصر أن يكون كأبيه القديم اعتصاما بالوحى وامتدادا معه، وعيشا فى إطاره أو موتا فى سبيله؟

إن الوهدة التى نتقلب فى حمأتها ما ينقذنا منها إلا هذا المنهج المبين.

أما الدعاوى العريضة دون سناد من يقين وفداء فقد افتضح خبؤها للخصوم والأصدقاء على سواء، وأضحت عديمة الغناء.

نحن فقراء إلى جيل آخر من الرجال.

والرجولية المنشودة صفة أضفاها القرآن الكريم على صنفين متميزين لم يمنحها غيرهما!!

الصنف الأول أولوا النجدة والوفاء الذين يقولون الكلمة ويموتون عندها صدقا مع ربهم واحتراما لأنفسهم.. وكأنى أنظر الى أنس بن النضر وهو يقول لرسول الله: غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين، أما والله لئن التقينا بالمشركين ليرين الله ما أصنع!!

هذه يمين إنسان عارم الثقة بنفسه، وقدرته على الصمود والتضحية!

يمين من ورائها إيمان بعيد الآماد لا يزيغ ولا ينبو.!!

ولقد ثبت هذا الرجل فى أحد، وتلاشى كيانه بين أسلحة أعداء الله، ولكنه هو وأنداده من الأبطال كانوا الجسر الذى عبر عليه الإسلام إلينا وإلى قرون أخرى لا يعلمها الا الله.

وجدير بهم ما نزل فيهم من كلام الله الخالد ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا**

﴿ مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾
[الأحزاب: ٢٣]

أما الصنف الآخر من الرجال الذين نتطلع الى ملامحهم الطيبة الطاهرة فهم مدمنو الصلاة، عشاق المسجد، ذاكرو الله بالغدو والآصال، أصحاب السرائر الصافية، والأيدي السخية، والضمائر المراقبة لربها، المستعدة ليوم الحساب **﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴾** [النور: ٣٦، ٣٧]

هل نطمع أن تربى الناشئة على هذا الغرار، وأن يكثر فى أمتنا هذا اللون من الرجال؟

إن العين تلمح أجسادا متحركة بالمآرب الدنيا، وبغام كبار وصغار نسوا الله فانساهم أنفسهم، ذلكم هو الغثاء الذى يضيع به اليوم والغد.

فهل نتغير ليغير الله ما بنا..؟

إن الهزائم السود التي أصابتنا تعود قبل أى شئ إلى قلة الرجال الذين شرح الكتاب نعوتهم، ورسم مستواهم!

إن الرجولة عندنا صفة جسدية ترادف الذكورة، ومع ذلك فهي رجولة ترفض المشقات، وتعشق الملذات، وتحسب الشبع والرى والزينة والظهور الشخصي مثلا رفيعة!!

والكثرة من هؤلاء قلة!

والعراك بهؤلاء لا أمل فيه!!

قد أسأل نفسى: لماذا يخرج العمل شائها أو تافها من أيد كثيرة عندنا؟ مع أن المعارف النظرية لإكماله وإعلائه موفورة.

والجواب الذي لا أرى غيره: هو فقدان الإيمان الحار والاعتقاد الموجه.

وتحول الدين فى القلوب إلى قوة كهربائية محاطة بالمواد العازلة المبطلة لأثرها.

وقد عرض ذلك لأهل الكتاب الأولين فأفسد أمورهم وأحبط أجورهم.

وحذر الله المسلمين منه عندما قال لهم ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ [الحديد : ١٦]

والواقع أن الإنسان العربى اليوم أشبه باليهود والنصارى أيام البعثة، وعلى عهد الخلافة الراشدة!!

إنسان طال عليه الأمد، واستغلق فؤاده دون هدايات الله.

بل وجد فى العرب اليوم من يضيق بالانتساب إلى الإسلام، ومن يغضب إذا ذكر بأحكامه وشرائعه وشعائره!!

ولن تقوم للعرب قائمة إلا بعودة حية قوية واضحة للإسلام تنسج حياتهم الفردية والجماعية على المنوال الذى نسج حياة آبائهم فى العصر الأول، فطلع بهم فجر وولد بهم تاريخ..

* * *

obeikandl.com

فوضى الحلال والحرام ..
فى غياب التشريع الحق

الأمة الإسلامية اليوم تمثل جماهير كثيفة من الشعوب المتخلفة ..

والفرق بين الشعوب المتخلفة والشعوب المتقدمة كثيرة ومنوعة، ويمكن ردها إجمالا إلى خلل حقيقى فى المواهب الإنسانية الرفيعة، خلل علق هذه المواهب عن أداء وظائفها باقتدار وإجادة ..

وليس يصعب على من يرقب الأمم المتأخرة أن يلحظ كسلها العقلى فى ميدان المعرفة، وكسلها العملى فى ميدان الانتاج، وضعف الأخلاق التى تحكم أقوالها وأحوالها، وكثرة التقاليد التى تمثل طابع الرياء والأثرة والملق والضياع الفردى والاجتماعى.

إن هناك انهيارا حقيقيا فى البناء الإنسانى للشعوب المتخلفة !

والإصلاح الجاد يستهدف إعادة هذا البناء ودعمه خلقيا واقتصاديا وسياسيا ..

ونحن – المشتغلين بالدعوة الإسلامية – نعالج هذا العمل الشاق، ونزيح العقبات التاريخية والطارئة التى تعترض طريقنا وما أكثرها.

وهناك ناس يعملون لهذا الهدف، هدف بناء أمة جديدة، ولكنهم بمؤثرات شتى – لا يرتبطون بالإسلام، ولا يستشيرونه فى حل مشكلة أو شفاء علة ..!

وظاهر أن هؤلاء الناس هم الذين نشأوا فى ظل الاستعمار الأوروبى. وآذاهم أن تكون بلادهم محقورة الشأن، زرية الظاهر والباطن، فأرادوا أن تلتحق بالركب المتقدم عن طريق التشبه به والاقتباس منه ..

ولما كان علم هؤلاء بالإسلام قليلا ، فإنهم لم يحاولوا الإفادة منه أو الارتباط به. بل مضوا فى طريق التقليد للشعوب المنتصرة فى ظاهر أمرها وباطنه.

وعذرهم – أمام أنفسهم على الأقل – أنهم يبغون النهوض بأمتهم.

ولست الآن بصدد نقد هؤلاء، ولا ذكر مواقفهم المعنتة من الدعاة المسلمين ..

obeikandi.com

بل على العكس سأتناول باللوم والإنكار مواقف بعض المتدينين القاصرين الذين يسيئون إلي الإسلام من حيث ينشدون خدمته..

إن تبذل النساء فى هذا العصر بلغ حد السفه وهبط إلى درك سحيق من الحيوانية المنكورة.

وصيحات الوعاظ لوقف هذا التيار تذهب بددا..

لماذا؟ لأن تناولهم لقضايا المرأة مشوب بالغموض أو الجهالة، متسم بالسلبية والعجز، محكوم بتقاليد ما أنزل الله بها من سلطان..

وأغلبهم لو أمكنته الفرص لرد المرأة إلي البيت وغلق عليها الأبواب، وحرمها مختلف الحقوق المادية والأدبية، وجعلها القدم العرجاء للإنسانية السائرة أو الجناح المكسورة للأمم الصاعدة..!

والمسلمون فى العصر الماضي خالفوا الإسلام مخالفة مستغربة في الطريقة التي تحيا بها المرأة..!!

فهم حرموها حق العبادة - بتعبير العصر الحديث - وحظروا عليها دخول المساجد، ويوجد في أنحاء مصر نحو سبعة عشر ألف مسجد؛ لا ترحب بدخول المرأة، ولم يبن في أحدها باب مخصص للنساء، كما فعل رسول الله ﷺ حين بنى مسجده بالمدينة المنورة..

وقد بذلنا بعض الجهود، لتغيير هذه الحال، ولم ننجح إلا فى حدود تافهة..!

مع أن صفوف النساء في بيوت الله كانت إحدي معالم المجتمع الإسلامي الأول!!

.. وهم حرموها حق العلم - بتعبير العصر الحديث - فلم تفتح المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية والعالية للمرأة إلا بعد محاولات ومجالات مضنية.

ولم تدخل الأزهر إلا بعد تطويره الحديث، مع أن النبى ﷺ جعل طلب العلم فريضة على الرجال والنساء، ومع أنه أمر بإخراج النساء وهن حوائض ليشهدن الخير ويعرفن دعوة الإسلام..

وهم رفضوا أن يكون لها دور في إحقاق الحق، وإبطال الباطل، وصيانة

الأمة بنشر المعروف، وسحق المنكر، مع أن الله قال فى كتابه ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾

[التوبة: ٧١]

إن الفكرة التى سيطرت على أدمغة نفر من المتدينين هى عزل المرأة عن الدين والدنيا معا، واجتياح كيانها الشخصى والمعنوى..

ولا تزال هذه الفكرة أملا يحركهم، ويحملهم على ترويج أحاديث موضوعة أو واهية، وتكذيب أحاديث صحيحة أو حسنة، وعلى تفسير القرآن الكريم بآراء لم يعرفها أئمته، ولا قام عليها مجتمع الأصحاب والتابعين!!

.. بل أستطيع القول: أن الجاهلية التى دفعت إليها المرأة المسلمة بهذا الفكر القاصر، جعلتها دون المرأة فى الجاهلية الأولى..

فإن المرأة العربية ظهرت فى بيعة العقبة الكبرى، كما ظهرت مبايعة بعد فتح مكة، وقارب عدد النساء المبايعات ستمائة امرأة..!

وجهلة المتدينين تستكثر على المرأة المسلمة هذه المكانة الكبيرة، وقد نتج عن هذا التفكير فى قضية المرأة، وعن التفكير المماثل له فى قضايا أخرى كثيرة ان ظلم الإسلام ظلما شديدا، وأن أساء به الظن من لم يحط به خبرا ومن لم يحسن له فقها..

وعندى أن إفلات النهضة النسائية من قيود الإسلام الحقيقية يرجع إلى هذا العجز والغباء..

وقد لاحظت أن بعض المصلحين الذين اشتغلوا بتحرير المرأة قد جرأهم هذا الموقف على ارتكاب حماقات سيئة، بل جرأهم على ترك الإسلام!!

فهم لما قاوموا بنجاح أخطاء بعض المتدينين اندفعوا فى طريقهم مغالين فخطأوا الدين نفسه حيث لا مجال لتخطئة ولا مكان لتصويب..!

وإنه لمن المحزن أن يسىء الدعاة عرض دينهم فى ميدان ما، فترفع الثقة بهم فى كل ميدان، ثم ينفتح الباب على مصراعيه ليتناول من شاء أحكام الإسلام بالمحو والإثبات، يقبل منها ما يعجبه، ويرد منها ما ينبو عن مزاجه اللطيف!

.. اكتب ذلك وبين يدى كتاب مطالعة للمدارس الثانوية ألف على عهد وزارة المعارف وراجعه الدكتور طه حسين بك وآخرون.

في الفصل الثالث من هذا الكتاب حديث عن قاسم أمين وردت فيه هذه العبارات وصفا له ولمذهبه في الحياة العامة يوم كان يلي منصب القضاء:

«ولم يتقيد في قضائه بآراء الفقهاء أو أحكام المحاكم مما يعتبره أكثر القضاة حجة لا محيد عنها، بل لم يتقيد بنص القانون إذا لم يصادف هذا النص مكان الاقتناع منه.. وهذا ما جعله ميالا للرأفة في قضائه، نافرا أشد النفور من حكم الإعدام !!».

فقد كان يرى «أن العفو هو الوسيلة الوحيدة التي ربما تنفع لإصلاح المذنب»، وأن «معاقبة الشر بالشر إضافة شر إلى شر» وأن التسامح والعفو عن كل شيء وعن كل شخص هما أحسن ما يعالج به السوء ويفيد في إصلاح فاعله «وأن الخطيئة هي الشيء المعتاد الذي لا محل لاستغرابه، والحال الطبيعية اللازمة لغريزة الإنسان..».

فإذا كانت الجماعة لم توفق بعد إلى إدراك هذه الأفكار وكانت قوانينها التي وكل إلى تطبيقها - هكذا يتحدث قاسم أمين القاضي عن نفسه!! - ما تزال تجرى على سنة القصاص والانتقام، وما تزال دموية متوحشة فلا أقل من أن يتحاشى الإعدام، وهو أشد ما فيها وحشية، وهو العقوبة الوحيدة التي لا سبيل لعلاجها إذا ظهر خطأ القاضي أو ثابت الجماعة إلى رشدها ورأت تعديل أساس عقوبتها بجعل العقوبة للإصلاح لا للقصاص، أو أخذت بمذهب العفو والتسامح».

والقارىء الذي يطالع هذه الجمل العمياء يحس أن صاحبها يصطدم بالوحي، ويكذب أن في القصاص حياة.

ويوغل مع الخيال فيظن أن العفو العام في كل حال وعن كل شخص قاعدة الإصلاح الاجتماعي الصحيح!!

والكلام كله لغو قبيح، بل مجون يعزل صاحبه لا عن منصب القضاء وحسب بل عن الفتيا في مشكلات الناس.

ودعك من أن قائل هذا الكلام مجرد تجردا تاما من احترام لنصوص الكتاب والسنة..!

ومع ذلك فإن طلاب المدارس الثانوية أيام وزارة المعارف -- يقرأون عقب هذا الكلام الغث تلك العبارات:

«كانت روح قاسم روح أديب، وكانت الروح العصبية الحساسة الثائرة التى لا تعرف الطمأنينة ولا تستريح إلى السكون، وكانت الروح المشوقة التى لا تعرف الإنزواء فى ركن. بل تظل متمخضة للبحث والتنقيب حتى تنسى نفسها، وتستبدل بكنها ما فى الكون من نشاط وجمال..

وفى ظننا أن الدعوة إلى تحرير المرأة من رق الجهل، ورق وحجاب لم نكن كل برنامج قاسم أمين الاجتماعى وإنما كانت حلقة منه هى أعسر حلقاته وأعقدها»..

ونحن نقول: أن قاسما وغيره ممن نهج فى الحياة منهجه كانوا أشخاصا ينقصهم قدر كبير من العلم الدينى والمدنى، وأنهم استغلوا القصور الشائن الذى غلب على المتحدثين باسم الإسلام فهجموا على الأمور هجوما شاملا كان شره أكثر من خيره..

وربما استطاعوا أن يكتسحوا رجال الدين -- إن صحت التسمية -- فى مجال النشاط النسائى لما علمت من حقيقة الموضوع.

لكن التطويح بشرائع القصاص ومن ورائها بقية الحدود غباء ضارب الجذور، وإنسلاخ عن الإسلام لا يجدى فيه دفاع، ولا يساق فيه عذر..

إذا قال الله ﴿ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ [البقرة: ١٧٩] فجاء غر يقول فى القصاص هلاك! فليس هذا جهلا فقط، ولكنه إرتداد عن الإسلام وكفر بواح عندنا من الله فيه برهان..

وقد بلغنى أن موظفة فى الإذاعة، فى أحد برامج السكك، وصفت قطع يد السارق بأنه وحشية، ولم يفاجئنى هذا الإرتداد الصريح فإن التمهيد الثقافى له بدأ من عهود الاحتلال الأجنبى لشتى البقاع الإسلامية..

وما نقلناه هنا من آراء قاسم أمين التى وضعت بين يدى طلاب الصفوف الثانوية يشهد لذلك..

ونريد أن يعلم القاصى والدانى أن كل طعن فى نصوص الإسلام القاطعة

مردود على صاحبه، وأنه ضرب من الارتداد يخدم الاستعمار الحاقد على بلادنا وتاريخنا..

ولا فرق عندنا بين ارتداد جزئى وارتداد كلى.

فإن أبا بكر رضى الله عنه خارب جاحدى الزكاة مع من عاد إلى الوثنية بعد وفاة رسول الله ﷺ.

مع أن مانعى الزكاة زعموا أنهم مؤمنون بالله وإقام الصلاة..

بيد أن هذا الزعم لم يخدع الخليفة الأول، ولا جمهرة الصحابة فقاتلوا الفريقين جميعا، وعدوا هؤلاء وأولئك كفارا لا شك فى كفرهم.

والحقيقة التى لمسناها أن الناقمين على شرائع الحدود والقصاص قوم لا يقين لديهم ولا صلاة لهم، وأن علاقتهم بالقرآن مقطوعة، وأنهم ما يستبقون نسبتهم إلى الإسلام إلا لظروف عارضة، أو ليكيدوا له وهم داخل دائرته.

وكلمة أخيرة للمتصلين بالعلوم الدينية، أنه لا يشرفهم أن يدركوا رأيا فقهيا ويجهلون رأيا آخر..!

إنهم يضرون الإسلام ضررا بالغا حين تكون صورته فى أذهانهم ناقصة أو شائهة، ثم حين يزعمون مع هذا النقصان والتشويه أنهم علماء الدين وحراسه..

إن القرن الأول - من بين القرون الأربعة عشر التى تمثل تاريخنا - هو أقرب الصور إلى حقيقة ديننا.. فكيف يحكم الإسلام «متن» من متون الفقه ألف أيام الاضمحلال العقلى لأمتنا.

أو كيف يحكم الإسلام تصرف تركى فى مجال السياسة أو المجتمع؟؟

لقد كان الاستبحار العلمي سمة ساطعة لأمتنا فى أعصارها الأولى.

فلا يجوز أن يقطعنا عن هذا الماضى الزاهى جهل عارض، أو فكر غامض.

ويوم يعود المسلمون إلى دينهم الحق، فإن التخلف المزرى اللاصق بهم اليوم ستنجلى غمته وتنكشف ظلمته.

و سيأخذون طريقهم مرة أخرى إلى الصدارة، والتقدم..

* * *

obeikandl.com